الفصل الثالث
أيديولوجية التغيير الثوري
٢ أكتوبر ١٩٨٣م

مقدمة

يمكن القول بأن خطاب سانكارا الأشهر في اكتوبر١٩٨٣ والذي يُطلق عليه خطاب التوجه السياسي يعد بمثابة مانفستو الثورة[١]. لقد اشتمل على مجموعة من المكونات الأيديولوجية الوطنية والاشتراكية والوحدوية الأفريقية والتي من المفترض أن تقود عملية التغيير الثوري في بلاده. لقد وجد سانكارا نفسه منذ البداية في معضلة حقيقية حيث اقتصر الدعم الثورى لبرنامجه على الشرائح الاجتماعية من سكان الحضر، والذين كانوا يتمتعون بمستويات معيشية أفضل من الشرائح الفلاحية المطحونة. وفي نفس الوقت كان من المستحيل تنفيذ برنامج التغيير الثوري الذي تبناه سانكارا دون التخلص من عبء جهاز الدولة ، حيث كانت مرتبات موظفي الحكومة حتى عام ١٩٨٣ تشكل نحو ٧٥ ٪ من الميزانية العامة. حاول المجلس الوطني للثورة بقيادة سانكارا التخلص من الفساد الحكومي حيث تمت معاقبة المتورطين ومحاكمتهم أمام محاكم شعبية. فضلا عن ذلك قام بتخفيض رواتب موظفي الخدمة المدنية بنسبة تتراوح ما بين ٢٠٪

(١) هذا هو الخطاب الأساسي لثورة سانكارا في بوركينا فاسو عام ١٩٨٣. يعرف هذا الخطاب باسم «خطاب التوجيه السياسي». ويشير البعض إلى أن فاليري سوميه Valére Sominé أحد رفقاء سانكارا المخلصين هو الذي أعد هذا الخطاب. وقد ألقى توماس سانكارا مانفستو الثورة هذا في واغادوغو، بوركينا فاسو، في ٢أكتوبر عام ١٩٨٣. أنظر في ذلك:

Thomas Sankara , We Are Heirs of the World's Revolutions,NY: Pathfinders,2007, pp-29-56 and Thomas Sankara ,The 'political orientation' of Burkina Faso, Review of African Political Economy ,Vol. 12, Iss. 32, 1985.

و ٣٠٪. كما أنه أصدر الأوامر لكبار الموظفين بالتبرع بشهر من مرتباتهم لصالح المشروعات العامة. ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد فقد اهتدى لنمط من التبرع يمكن أن يقدمه الأفراد، وهو التبرع بالوقت حيث أمر الموظفين بضرورة المشاركة في العمل الميداني. لقد جعل نفسه مثلا يُحتذى حيث خفض راتبه وأفصح عن جميع ممتلكاته أمام مكتب مكافحة الفساد، وأمر ببيع كافة السيارات المرسيدس الرئاسية والحكومية واستبدلها بسيارات رينو صغيرة، كما أنه لم يكن يسافر إلا على الدرجة السياحية.

ونقوم في هذا الجزء باستعراض أبرز مكونات مانفستو الثورة البوركينابية:

أولا : أهمية تحديد الهدف الثوري من خلال تعلم دروس الماضي:

يعترف سانكارا نفسه بأنه لا توجد سياسة بدون غطاء أيديولوجي حاكم يساعد على فهم وتحليل الواقع. وعلى الرغم من شغفه الشديد بالماركسية إلا أنه أنكر تماما أن تكون الثورة البوركينابية قد سعت إلى التقيد بأي أيديولوجية سابقة أو لاحقة. وحينما سُئل ذات مرة عن إمكانية أن يكون هو شخصيا يكرر تجربة معمر القذافي كانت إجابته حاسمة بالنفي القاطع. يقول :«أنا لست خادما لأحد.ولكن في حقيقة الأمر أنا خادم لجهة واحدة فقط .إنني خادم لشعب بوركينا». وحينما سأله أحد الصحفيين : ماذا يحدث لو أن الشعب لم ينفذ توجيهاتك ، رد قائلا يتعين علىّ عندئذ الرحيل[1]. وعلى أي حال يبدأ الخطاب بشكل حماسي بالتذكير بمعاناة المواطنين وأهمية الاستفادة من التاريخ لأخذ الدروس والعبر. يقول الخطاب في بدايته:

« ..احتشد مواطني فولتا العليا كأنهم شخص واحد وراء المجلس الوطني للثورة لبناء مجتمع فولتاوي جديد، حر ومستقل ومزدهر، وخال من الظلم الاجتماعي، ومتحرر من هيمنة واستغلال الإمبريالية الدولية التي ظلت جاثمة

(1)Guy Martin, Ideology and Praxis in Thomas Sankara's Populist Revolution of 4 August 1983 in Burkina Faso , A Journal of Opinion.Vol. 15 (1987), pp. 79.

على صدورنا على مدى قرن من الزمان. في نهاية هذه المرحلة في رحلتنا، [illegible] أن تنظروا معي إلى الوراء لتعلم الدروس اللازمة لتحديد المهام الثورية بشكل صحيح من أجل الحاضر والمستقبل القريب. نستطيع من خلال وجود تصور واضح لمسيرة الأحداث تحصين نضالنا ضد الإمبريالية والقوى الاجتماعية الرجعية. باختصار: من أين أتينا؟ وأين نحن ذاهبون؟. إذا كنا نريد أن نسير بجرأة نحو مزيد من الانتصارات الرائعة، فإن هذه هي الأسئلة المثارة التي تتطلب إجابات واضحة وحازمة منا، ودون أي موارية »[1].

أهداف ثورة أغسطس:

حدد الخطاب المهام الكبرى للثورة فيما يلي:

- تصفية الهيمنة والاستغلال الإمبريالي،
- القيام بحملة تطهير وإزالة كافة الحواجز الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والثقافية التي تكرس من حالة التخلف.

الطبيعة الثورية الديموقراطية للثورة:

« الطابع الشعبي لثورة أغسطس يكمن في حقيقة أنه بدلا من آلة الدولة القديمة تم تبني آلة جديدة قادرة على ضمان الممارسة الديمقراطية للسلطة من قبل الشعب ومن أجل الشعب. ثورتنا تتميز بأنها على الرغم من مناهضتها للإمبريالية، فإنها لا تزال تعمل في حدود النظام الاجتماعي والاقتصادي البرجوازي. إذا قمنا بتحليل واقع الطبقات الاجتماعية في فولتا العليا، لتوصلنا إلى القول بأن البرجوازية الفولتاوية ليست كتلة واحدة متجانسة تعبر عن القوى الرجعية والمعادية للثورة. والواقع أن ما يميز البرجوازية في الدول المتخلفة في إطار العلاقات الرأسمالية هو عدم قدرتها المعرفية على إحداث ثورة على غرار ما قامت به البرجوازية أواخر القرن الثامن عشر في الدول الأوروبية، عندما كانت تشكل

(١) خطاب التوجه السياسي، ص ص ٢٩-٣٠.

طبقة في طور النهوض. هذه هي الخصائص والقيود المفروضة على الثورة في فولتا العليا منذ ٤ أغسطس ١٩٨٣. إن الفهم الواضح وتحديد السياق المحدد يحمينا من مخاطر التحولات والتجاوزات التي يمكن أن تهدد المسيرة الظافرة للثورة. إنه يتعين على كل الذين حملوا شعار ثورة أغسطس تحمل دورهم الثوري، والتخلص من حالة الخوف من أجل بث الوعي بلا كلل أو ملل بين صفوف الجماهير. لا يكفي أن نقول هذا ثوري، يتعين عليه أيضا أن يكون مؤمنا بالمغزى العميق للثورة، وهو ما يجعله مؤيدا قويا لها. تلك هي أفضل وسيلة للدفاع وصد الهجمات والتشوهات التي تقوم بها القوى المعادية للثورة. تَعلُّم الربط بين النظرية الثورية والممارسة الثورية سيكون اختبارا حاسما للتمييز بين الثوار الحقيقيين وبين أولئك الذين يأتون للثورة مدفوعين بدوافع لا علاقة لها بالقضية الثورية»[1].

لقد كان سانكارا يردد دائما أنه منفتح على جميع ثورات العالم حيث يعتبرها ملكا للبشرية جمعاء، يتعلم الدروس منها ويتجنب أخطاءها. الهدف المعلن لديه ولدى رفاقه هو المحافظة على النقاء الثوري. وعليه اهتم خطاب الثورة بتوضيح نطاقها وطبيعتها على النحو التالي.

العالمية والخصوصية في ثورة أغسطس

«إن الثورات التي تحدث في جميع أنحاء العالم لا تتشابه. كل ثورة لها سماتها الأصيلة التي تميزها عن الثورات الأخرى. لدينا ثورة، ثورة أغسطس، ليست استثناء على هذه القاعدة. إنها تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات بلادنا، ودرجة تطورها ومدى خضوعها للنظام الإمبريالي الرأسمالي العالمي. ثورتنا هي ثورة تحدث في بلد زراعي متخلف، حيث ثقل التقاليد والإيديولوجية التي يفرزها نمط من التنظيم الاجتماعي الإقطاعي، يؤثر بشكل كبير على الجماهير. إنها ثورة في بلد، بسبب الهيمنة والاستغلال الذي مارسته الإمبريالية على شعبنا، تغير وضعه

(١) المرجع السابق، ص ٤٤.

من مستعمرة إلى دولة تعاني من الاستعمار الجديد . إنها ثورة تحدث في بلد ما زال يتسم بغياب الطبقة العاملة الواعية بمهمتها التاريخية وتنظيمها، وبالتالي لا تملك تقاليد النضال الثوري. إنها ثورة تحدث في بلد صغير، عندما كانت الحركة الثورية تنهار يوما بعد يوم دون أمل في رؤية كتلة متجانسة واضحة قادرة على القيادة ودعم الحركات الثورية الناشئة. هذه الجملة من الظروف التاريخية والجغرافية والاجتماعية تعطى طابعا مميزا لثورتنا. كانت ثورة أغسطس ذات طابع مزدوج: فهي ثورة ديمقراطية من جهة وشعبية من جهة أخرى»[1].

ثانيا : ثورة أغسطس تتويج لنضال شعبي :

في ظل الحماسة الثورية كان من الضروري شرح طبيعة الثورة وارتباطها بالشعب والتأكيد على أن هدفها الأسمى هو تحقيق تطلعات الجماهير وقطع الروابط مع النظام القديم.وعلى الرغم من أن جون ماركيكس ومايكل واللر Markakis &Waller يصنفان نظام سانكارا بأنه يقع في دائرة النظم العسكرية الراديكالية التي تأتي عن طريق الانقلاب العسكري فإن الخطاب الأيديولوجي والممارسة العملية تجعل من الصعب القبول، ولو جزئيا، بهذا الوصف. تُظهر لغة خطاب سانكارا تأثرا شديدا بمفردات الخطاب الماركسي ولاسيما حديثه عن الصراع الطبقي وعن نضال الجماهير العريضة، وكذلك عن ارتباط الثوار بالجماهير مثلما يرتبط السمك بالماء.

«كانت ثورة أغسطس تتويجا لنضال شعب فولتا العليا. إن انتصار ثورة أغسطس ليس مجرد نتيجة لانقلاب ثوري ضد تحالف ١٧ مايو ١٩٨٣ المقدس الرجعي. إنه تتويج لنضال الشعب الفولتاوي ضد أعدائه الدائمين. إنه انتصار على الإمبريالية الدولية وحلفائها في الداخل. إنه انتصار على قوى الظلام والرجعية. انتصار على كل أعداء الشعب الذين يحيكون المؤامرات والدسائس من وراء ظهورنا.

(١) المرجع السابق.

كانت ثورة أغسطس تتويجا للانتفاضة الشعبية الناجمة عن مؤامرة ١٧ مايو ١٩٨٣ الإمبريالية، والتي حاولت وقف المد المتصاعد من القوى الديمقراطية والثورية في هذا البلد. لم يكن هذا التمرد واضحا فقط من خلال الموقف البطولي والشجاع للقوات الخاصة في مدينة «بو»، والتي أظهرت مقاومة شرسة للقوى الإمبريالية المناهضة للشعب بزعامة جان باتست يدراوغو والعقيد سوميه يوريان، ولكن أيضا بفضل شجاعة القوى الديمقراطية والثورية المتحالفة مع الجنود والضباط الوطنيين، الذين تمكنوا من تنظيم مقاومة مثالية.

إن تمرد ٤ أغسطس ١٩٨٣، وانتصار الثورة وظهور المجلس الثوري الوطني يعد بلا شك تكريسا، وبالتالي تتويجا لنضالات شعب فولتا العليا ضد الهيمنة الاستعمارية الجديدة والاستغلال، وضد القهر في بلدنا، وذلك من أجل الاستقلال والحرية والكرامة والتقدم لشعبنا»[1].

يرفض سانكارا لغة التبسيط في فهم السيرورة التاريخية لنضال الجماهير حيث يرى بأنها سلسلة متصلة الحلقات. وهو ينظر إلى الاحتجاجات الشعبية باعتبارها رفضا منهجيا من قبل شعب فولتا العليا، وخاصة الطبقة العاملة والكادحين الآخرين، بأن يُحكم بنفس الطريقة التي كانت مُتبعة من قبل. ولعل أهم المعالم الأكثر أهمية ووضوحا، من وجهة نظره، لهذه النضالات الشعبية هي: ديسمبر ١٩٧٥، و مايو عام ١٩٧٩، وأكتوبر -نوفمبر عام ١٩٨٠،و أبريل ١٩٨٢ ، ومايو ١٩٨٣.

« إن الحقيقة الراسخة تكمن في أن حركة المقاومة الشعبية الكبيرة التي أعقبت مباشرة رجعية حركة ١٧ مايو ١٩٨٣ المؤيدة للإمبريالية ، قامت بتهيئة الظروف المواتية لأحداث ٤ أغسطس ١٩٨٣. وفي الواقع، فإن المؤامرة الإمبريالية في ١٧ مايو عجلت بدمج القوى والمنظمات الديموقراطية والثورية التي تم تعبئتها خلال هذه الفترة من خلال تطوير مبادرات وإجراءات جريئة مهمة لم تكن معروفة سابقا. وفي الوقت نفسه، عانى التحالف المقدس من القوى الرجعية حول النظام البائد من عدم

(١) المرجع السابق.

قدرته على وقف مسيرة القوى الثورية، التي شنت هجوما صريحا وواسع النطاق ضد القوى المعادية للشعب والمناهضة للديمقراطية. لقد تركت التظاهرات الشعبية في ٢٠ و ٢١ و ٢٢ مايو صدى وطنيا واسعا نتيجة لأهميتها السياسية الكبرى، حيث أنها شكلت دعما مباشرا من المواطنين، ولا سيما الشباب، للمُثل الثورية التي يدافع عنها هؤلاء الذين تعرضوا لعدوان غادر من القوى الرجعية».

وتبدو من لغة الخطاب السياسي سمة الوضوح الثوري التي تحدد بلا مواربة مكونات النظام القديم وجماهير الشعب العريضة التي تخوض النضال الثوري.«لقد مكنت أحداث مايو ١٩٨٣ الشعب من معرفة المزيد عن أعداء فولتا العليا. من الآن فصاعدا، في فولتا العليا، يعرف الجميع: كل شخص! مع من أو ضد من ! من يفعل ماذا، ولماذا!. هذا النوع من الحالات، الذي يعد مقدمة لاضطرابات كبيرة، يساعد على تحجيم التناقضات الطبقية في المجتمع الفولتاوي. لقد جاءت ثورة أغسطس كحل لهذه التناقضات الاجتماعية التي لا يمكن تسويتها بالتوفيق. إن التأييد الحماسي من الجماهير الشعبية العريضة لثورة أغسطس هو التعبير العملي للتوقعات المصاحبة لتأسيس المجلس الوطنى الثوري.إنهم يتوقون لأن يحصدوا أخيرا ثمار الديموقراطية والحرية والاستقلال. إنهم يأملون بأن التقدم الحقيقي يمكن بلوغه من خلال استعادة كرامة وعظمة بلدنا بعد أن تم تقويضها خلال ٢٣ عاما من الاستعمار الجديد»[١].

ثالثا : إرث ٢٣ عاما من الاستعمار الجديد :

يهتم مانفستو الثورة بعد ذلك بشرح التحديات التي تواجه المجلس الوطني للثورة في المرحلة الجديدة . ولعل مرد ذلك كله هو الميراث الثقيل الذي خلفته الدولة الاستعمارية الجديدة في فولتا العليا على مدي أكثر من عقدين من الزمان. وعليه فهو يعترف بأن «مهمة بناء مجتمع جديد سوف تكون صعبة وعسيرة،إنه مجتمع خال من جميع الشرور التي تبقي بلدنا في حالة من الفقر والتخلف

(١) المرجع السابق، ص ٣٠- ٣١.

الاقتصادي والثقافي. في عام ١٩٦٠ عندما تعرض الاستعمار الفرنسي للهجوم من جميع الجهات، هزم في ديان بيان فو (فيتنام)، وواجه صعوبات هائلة في الجزائر، اضطر،لاستخلاص الدروس من تلك الهزائم، فقام بمنح بلدنا السيادة الوطنية والسلامة الإقليمية، وهي أمور تم الترحيب بها بشكل إيجابي من قبل شعبنا الذي لم يعد غير مُبال، ولكنه بات يتبني نضالات المقاومة المناسبة»[1].

بعد ذلك ينتقل الخطاب إلى شرح طبيعة البنية التنظيمية للمجتمع النيوكولنيالي في فولتا العليا والذي يقوم على حالة من الانقسام الطبقي الواضح بين أقلية رجعية مترفة وأغلبية ساحقة مطحونة.

«إن البنية التنظيمية الكاملة للمجتمع النيوكلونيالي هي مجرد تغيير من شكل إلى آخر. الاستعمار الجديد والمجتمع الاستعماري هما في الأساس لا يختلفان. وهكذا، تم استبدال الإدارة الاستعمارية بإدارة استعمارية جديدة والتي جاءت متطابقة في جميع النواحي مع سابقتها. لقد تم استبدال الجيش الاستعماري بجيش استعماري جديد وبنفس الخصائص والوظائف والأدوار بحسبانه حارسا للمصالح الإمبريالية والحلفاء المحليين. المدارس الاستعمارية استُبدلت بمدارس استعمارية جديدة لتحقيق نفس الأهداف من اغتراب للأطفال في بلادنا واستنساخ لمجتمع يخدم في المقام الأول مصالح الإمبريالية وأذنابها في الداخل.

لقد بدأ بعض مواطني فولتا العليا بدعم ومباركة من القوى الإمبريالية، بتنظيم عمليات سلب ونهب حثيثة لبلدنا. قاموا بنهب الفتات الذي ترك لهم، وتحولوا تدريجيا إلى برجوازية طفيلية حقة، إنهم لا يستطيعون التحكم بشهيتهم النهمة.وسوف تحاول الآن هذه الطبقة بدافع من مصالحها الأنانية الضيقة، استخدام المزيد من الطرق غير الشريفة، مثل الفساد واسع النطاق، واختلاس الأموال والممتلكات العامة، واستغلال النفوذ والمضاربات العقارية، وممارسة الواسطة والمحسوبية. ولعل ذلك يفسر قيامهم بجمع الثروات المالية والمادية

(١) المرجع السابق، ص ص ٣١-٣٢.

التي تراكمت على حساب قوى الشعب العامل. إن الأمر لا يقتصر على اعتمادهم في العيش على المكاسب الريعية الهائلة الناتجة عن استغلال الريع للأرباح غير المشروعة، ولكنهم يحاولون انتزاع المسؤوليات السياسية التي تسمح لهم باستخدام أجهزة الدولة للاستفادة منها في أعمالهم والتغطية على سوء إدارتهم»[1].

ويذهب الخطاب إلى تحديد أبرز فئات الجماهير التي عانت من حيل وظلم النخبة الرجعية الحاكمة، ومن ذلك:

- **فئة موظفي الدولة:**« إن الغالبية العظمى من الموظفين، الذين يحصلون على دخل ثابت يعانون من معوقات وعثرات المجتمع الرأسمالي الاستهلاكي. لقد رأينا جميعا أن أجورهم يتم استهلاكها حتى قبل أن تدخل في جيوبهم».

- **فئة الفلاحين** :ونظرا لأن غالبية الشرائح المظلومة والتي تعرضت للقهر هي من الفلاحين فقد أبرز الخطاب مناحي هذا الظلم الذي تعرضوا له على النحو التالي:« ضمن هذه الأغلبية الساحقة، هناك «المعذبون في الأرض»، هؤلاء الفلاحين المطحونين، الذين إن رفعوا أصواتهم زج بهم في السجون، يعانون من التجاهل التام والإذلال كل يوم،وهم، مع ذلك، ينتجون بعملهم الثروة. يظل الاقتصاد قائما، على الرغم من هشاشته من خلال الأنشطة الإنتاجية لهؤلاء الفلاحين. ومن خلال عملهم أضحت فولتا العليا بالنسبة للنخبة البرجوازية أرض السمن والعسل. ومع ذلك، فمن هم الذين يعانون أشد المعاناة من عدم وجود مؤسسات، وبنية تحتية للطرق، ونقص المرافق الصحية والتدريب. إنهم الفلاحون مصدر الثروة الوطنية هم الذين يعانون أشد المعاناة من عدم وجود المدارس والمستلزمات المدرسية لأبنائهم. يعاني أبناؤهم من الانضمام إلى طابور العاطلين عن العمل بعد فترة قضوها في مدارس سيئة لا تُحسن تدريبهم على مواجهة واقع هذا البلد. لقد وصل معدل الأمية إلى ٩٨ في المئة»[2].

(١) المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٣.

يركز الخطاب بشكل واضح وعميق على تحديد أبعاد التخلف الاجتماعي في المجالات الاقتصادية والتعليمية والصحية مع إعطاء أمثلة ومؤشرات رقمية. ولعل ذلك يعطي صورة واضحة عن حالة فولتا العليا باعتبارها بلدا زراعيا متخلفا عندما شهدت هذا التحول الثوري بقيادة توماس سانكارا:

- **فولتا العليا بلد زراعي متخلف:**«بعد ٢٣ عاما من الهيمنة الإمبريالية والاستغلال، لا يزال بلدنا بلدا زراعيا متخلفا حيث القطاع الريفي، الذي يعمل به أكثر من ٩٠ في المئة من القوى العاملة لا يمثل سوى ٤٥ في المائة من الناتج المحلي الإجمالي (GDP)، ويوفر ٩٥ في المائة من الصادرات.

- **عجز الميزان التجاري:**«.إن اختلال التوازن بين الصادرات والواردات يفضي إلى خلق حالة من الاعتماد على الدول الأخرى. لقد ارتفع العجز التجاري بشكل كبير على مر السنين وبلغت نسبة تحمل تكلفة الواردات من خلال الصادرات حوالي ٢٥ في المائة فقط. ببساطة شديدة، نحن نشتري من الخارج أكثر مما نبيع له، والاقتصاد الذي يعمل على هذا الأساس يدمر نفسه تدريجيا ويتحول إلى وضع كارثي. الاستثمارات الأجنبية الخاصة ليست فقط غير كافية ولكنها تمثل عبئا على الاقتصاد الوطني وبالتالي لا تسهم في تعزيز قدرته الاستيعابية. لقد تم استنزاف جزء هام من الثروة الناجمة عن الاستثمار الأجنبي وتهريبه إلى الخارج بدلا من استثماره لتعزيز القدرة الإنتاجية للبلد. في الفترة من ١٩٧٣-١٩٧٩، بلغت قيمة عوائد الاستثمار الأجنبي المباشر حوالي ١.٧ مليار فرنك أفريقي سنويا، في حين بلغ متوسط حجم الاستثمارات الجديدة نحو ١.٣ مليار فرنك أفريقي فقط سنويا».

- **في مجال التعليم والصحة:** « تعد بلدنا من بين أكثر الدول تخلفا حيث يبلغ معدل التحاق التلاميذ بالمدارس ١٦.٤ في المئة وتبلغ نسبة الأمية ٩٢ في المئة في المتوسط. وهذا يعني أنه من أصل ١٠٠ فرد في فولتا العليا،يوجد ثمانية أفراد فقط يعرفون القراءة والكتابة بأي لغة كانت. من حيث مؤشرات المرض

والوفيات تعد بلدنا الأعلى في المنطقة بسبب انتشار الأمراض المعدية ونقص التغذية. إلى جانب ذلك، كيف يمكن تجنب مثل هذا الوضع الكارثي ولاسيما إذا علمنا وجود سرير واحد فقط في مستشفى لكل ١٢٠٠ نسمة، وطبيب واحد لكل ٤٨٠٠٠ نسمة؟»[١].

لقد اعتقد المجلس الوطني للثورة جازما أنه لا يمكن أبدا إحداث تغييرات تجميلية في بنية النظام القديم حيث لا يمكن أبدا تغيير العقليات والمواقف لدى القوى القديمة التي لاتفهم سوى لغة النضال. وعليه كان الحل هو اعادة البناء من أجل تأسيس مجتمع جديد: «يجب علينا أن لا نتوقع تحولا في العقليات والموقف. إنهم لا يفهمون إلا لغة النضال، النضال الطبقي الثوري ضد المستغلين والظالمين من البشر. ثورتنا هي من أجل هذا الأمر، وسوف تفرض إرادة الشعب بكل الوسائل الموضوعة تحت تصرفه، وإذا لزم الأمر بقوة السلاح. هؤلاء أعداء الشعب، من هم؟ لقد تم الكشف عنهم أمام الشعب خلال أحداث ١٧ مايو حيث أبدوا استياءهم ضد القوى الثورية»[٢].

ويحدد خطاب التوجه السياسي أعداء الشعب في الفئات التالية :

- **البرجوازية الفولتاوية** : والتي تؤدى وظائف مختلفة بعضها عن البعض الآخر، فهناك برجوازية الدولة، والبرجوازية الكومبرادورية والبرجوازية المتوسطة.

- **برجوازية الدولة**: هي جزء يعرف باسم البرجوازية السياسية والبيروقراطية. إنها البرجوازية الاحتكارية التي حققت ثراء فاحشا بصورة غير مشروعة. كما أنها تستخدم جهاز الدولة تماما كما تستخدمه البرجوازية الصناعية الرأسمالية من أجل استغلال وسائل الإنتاج لتحقيق تراكم الأرباح الرأسمالية وذلك على حساب القوى العاملة. هذه البرجوازية لن تتخلى أبدا بطريقة طوعية عن مزاياها السابقة

(١) المرجع السابق،ص ص ٣٧-٣٨.

(٢) المرجع السابق ،ص ٣٨.

من أجل المساعدة السلبية فى التحولات الثورية الجارية.

- أما **البرجوازية التجارية**: فإن جزءا من أنشطتها في حد ذاته مرتبط بروابط وثيقة ومتعددة مع الإمبريالية. يعني ذلك أن التخلص من الهيمنة الامبريالية هو بمثابة إعلان وفاتها وتخليها عن «الأوزة التي تبيض لها البيضة الذهبية». ولذلك ستعارض بكل ما أوتيت من قوة هذه الثورة. وعادة ما تتألف هذه الفئة من التجار المارقين الذين يسعون إلى تجويع الشعب عن طريق سحب جميع المواد الغذائية من الأسواق بهدف المضاربة والتخريب الاقتصادي.

- **الطبقة الوسطى**: هذه الشريحة من البرجوازية الوطنية، على الرغم من ارتباطها بالإمبريالية، إلا أنها تتنافس معها من أجل السيطرة على السوق. ولكن نظرا لكونها الأضعف اقتصاديا، فقد تم سحقها واستيعابها من قبل الإمبريالية. لديها شكاوى ضد الإمبريالية، ولكنها تخشى كذلك من المواطنين وربما يدفعها هذا الخوف إلى التحالف مع الإمبريالية. ومع ذلك، فإن الهيمنة الإمبريالية على بلدنا قد أعاقت الدور المناسب للبرجوازية الوطنية، وربما تندفع بعض عناصر هذه البرجوازية، وفي بعض الحالات إلى التعاطف مع الثورة التي تتعامل معهم بموضوعية. يجب علينا تطوير حالة من انعدام الثقة الثورية لحماية الثورة من الانتهازيين من كافة الأنواع.

٢) القوى الرجعية التي تستمد قوتها من الهياكل التقليدية للمجتمع الإقطاعي.

هذه القوى، في أغلبيتها، كانت قادرة على تحدى الامبريالية الاستعمارية الفرنسية. ولكن منذ حصول فولتا العليا على سيادتها الوطنية، اختارت هذه القوى الوقوف بجانب البرجوازية الرجعية من أجل قمع الشعب. وقد عمدت هذه القوى على استغلال جماهير الفلاحين واستخدامهم كرصيد مضمون في حروبها الانتخابية. ولحماية مصالحها المشتركة مع الإمبريالية والتي تتعارض مع مصالح الشعب، غالبا ما توظف هذه القوى الرجعية القيم السلبية الموروثة من الثقافة التقليدية التي لا تزال سائدة في المناطق الريفية. وعليه فإن الثورة وفقا للرؤية

السنكارية تسعى لدمقرطة العلاقات الاجتماعية ، ولتمكين المزارعين من خلال المزيد من التعليم والمزيد من المعرفة من أجل تحقيق التحرر الاقتصادي والثقافي الخاص بهم، والذي تعارضه القوى الرجعية .« هؤلاء هم أعداء الشعب في هذه الثورة، الأعداء الذين حددهم الشعب بنفسه خلال أحداث مايو. إنهم هؤلاء الأفراد الذين شكلوا الجزء الرئيسي من المتظاهرين ، تحت مظلة الحماية العسكرية، والذين أظهروا دعمهم للخطط البائدة التي تبناها الانقلاب والقوى الرجعية الموالية للإمبريالية»[1].

في المقابل ماهي مكونات الجماهير التي تقود النضال الشعبي يقول الخطاب:« بعيدا عن هذه الطبقات والشرائح الاجتماعية الرجعية والمعادية للثورة والمذكورة أعلاه، يأتي باقي شعب فولتا العليا. الشعب الذي أخذ على عاتقه مقاومة الهيمنة الإمبريالية والاستغلال واستمر في ممارسة النضال اليومي ضد الأنظمة الاستعمارية الجديدة. هذا الشعب في هذه الثورة يتشكل من المكونات التالية[2]:

١) الطبقة العاملة

ورغم أنها صغيرة وفتية، فإنها تمكنت من الثبات في كفاحها المستمر ضد أرباب العمل، إنها طبقة ثورية حقا. لديها الفرصة في هذه الثورة لتكسب كل شيء وليس لديها شيئا تخسره. ليس لديها وسائل إنتاج يمكن أن تخسرها، وليس لديها أي ممتلكات يمكن أن تدافع عنها في سياق المجتمع الاستعماري الجديد. إنها مقتنعة بأن الثورة هي شأن خاص بها، لأنها تساعدها على التطور وتحقق لها الحصانة الثورية.

٢) البرجوازية الصغيرة

وهي طبقة اجتماعية واسعة وغير مستقرة، تتراوح مواقفها بين دعم قضايا

(١) المرجع السابق، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠-٤٢.

الجماهير ومواقف الإمبريالية في كثير من الأحيان. على أن الغالبية العظمى منها تلتزم في نهاية الأمر، بالوقوف مع الجماهير. وهي تضم فئات عديدة ومتنوعة بما في ذلك: أصحاب المتاجر الصغيرة، المثقفين (الموظفين وطلبة الجامعات وتلاميذ، المدارس، والعاملين في القطاع الخاص، الخ ..) والحرفيين.

٣) الفلاحون

وهم يتشكلون في غالبيتهم العظمى من صغار المزارعين المرتبطين بالحيازات الزراعية الصغيرة بسبب التفكك التدريجي لنظام الملكية الجماعية منذ إدخال نمط الإنتاج الرأسمالي في فولتا العليا. لقد أدت علاقات الإنتاج إلى تذويب المزيد من الروابط المجتمعية، وقيام نظام الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج. في ظل هذا الوضع الجديد الذي ارتبط بتغلغل الرأسمالية في الريف، أضحى الفلاح في فولتا العليا مرتبطا بنظام الانتاج المحدود، الذي يجسد علاقات الإنتاج البرجوازية. لذلك، وفي ضوء كل هذه الاعتبارات، اعتبر الفلاحين في جزءا من البرجوازية الصغيرة. سواء في الماضي، أو في الوضع الحالي، شكل الفلاحون الطبقة الاجتماعية التي تحملت العبء الأكبر للهيمنة والاستغلال الإمبريالي. إن حالة التخلف الاقتصادي والثقافي التي تميز الريف قد ظلت منذ فترة طويلة بمعزل عن التيار الرئيسي للتقدم والتحديث، كما أنها شكلت المخزون الذي اعتمدت عليه قوى الرجعية السياسية. ومع ذلك فإن لديها مصلحة في الثورة، وهي بلغة الأرقام تشكل القوة الرئيسية.

٤) البروليتاريا الرثة

وهي طبقة دونية بسبب وضع المنتسبين إليها باعتبارهم عاطلين عن العمل، لديهم استعداد للتعاون مع القوى الرجعية والوقوف في وجه الثورة من خلال تنفيذ المهام القذرة. وعلى أية حال فإنهم إذا ضمنوا الاستفادة من الثورة ، قد يصبحون من أقوى مؤيديها».

***

رابعا: الإطار المؤسسي

لقد تم تحديد الإطار المؤسسي الذي يجسد سيادة الشعب بهدف تدمير آلة الدولة الاستعمارية الجديدة وتنظيم آلة جديدة قادرة على ضمان سيادة الشعب في إطارين عامين هما:

- المجلس الوطني للثورة بحسبانه نقطة ارتكاز للجماهير من أجل مهاجمة قلاع القوى الرجعية والمعادية للثورة ».فقد شكل في ٤ أغسطس بهدف إدارة ومراقبة الحياة الوطنية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية[١].

- **لجان الدفاع عن الثورة**[٢]: « إنها بمثابة الأداة التي مكنت الشعب من الحصول على سيادته والتحكم في مصيره، وبالتالي بسط سيطرته في جميع نواحي المجتمع. إنها سلاح الشعب، وسلطة الشعب، وثروة الشعب، وسيكون هذا الشعب هو الذي يدير في لجان حماية الثورة. وسوف تكون أدوارهم كبيرة ومتنوعة. مهمتهم الأساسية هي تنظيم الشعب بأكمله في فولتا العليا للانخراط في النضال الثوري. ينتظم الشعب من خلال لجان الدفاع عن الثورة ليس فقط من أجل دراسة قضايا المستقبل، ولكنه يشارك أيضا في صياغة القرارات المتعلقة بالمستقبل وتنفيذها. النظرية مثل الثورة تسعى لتدمير النظام السابق، وبدلا من ذلك، يتم بناء نمط جديد من المجتمع بعيدا عن هؤلاء الذين لهم مصالح خاصة»

المهام الأساسية للثوار في لجان الدفاع عن الثورة:

إن لجان الدفاع عن الثورة هي أسلحة المقاومة. إنها تمثل البناء الثوري في فولتا العليا. إنها الركيزة التي يتم انطلاق الثورة من خلالها لتشمل جميع المحافظات، وجميع القرى، وجميع الخدمات العامة والخاصة، وجميع المنازل، وجميع

(١) المرجع السابق،ص ٤٥.

(2)ttp://ar.scribd.com/doc/96585260/The-Political-Orientation-Speech-Thomas-Sankara-Ouagadougou-Burkina-Faso-2-October-1983#scribdh

الأطياف.وتحقيقا لهذه الغاية،كان لزاما على الثوار في لجان الدفاع عن الثورة التنافس بقوة من أجل تنفيذ المهام الرئيسية التالية:

١) العمل نيابة عن أعضاء لجان الدفاع عن الثورة: فالأمر متروك للثوار في التثقيف السياسي لرفاقهم. فقد أرادت السنكارية أن تكون هذه اللجان بمثابة مدارس للتثقيف السياسي. يعني ذلك أنها بمثابة الأطر المناسبة لقيام النشطاء بمناقشة قرارات الهيئات العليا للثورة، متمثلة في المجلس الوطني للثورة والحكومة.

٢) العمل نيابة عن الجماهير من أجل تدريبهم على الالتزام بأهداف المجلس الوطني للثورة من خلال الدعاية والتحريض دون كلل أو خوف. «فأعمال الدعاية والافتراءات الكاذبة التي تصدر من جانب القوى الرجعية ، ينبغي مواجهتها من قبل لجان الدفاع عن الثورة من خلال الالتزام بالحقيقة الثورية. على لجان الدفاع عن الثورة أن تكون منتبهة لتحقيق مطالب الجماهير، وتقوم بابلاغ المجلس الوطني للثورة حال وجود مقترحات محددة. وهم مدعوون لمناقشة القضايا المتعلقة بتعزيز مصالح الجماهير، ودعم المبادرات المتخذة من قبلهم. يقومون بالاتصال المباشر مع الجماهير، من خلال الجلسات المفتوحة العادية حيث تناقش القضايا التي تهمهم وذلك من أجل التطبيق الصحيح للمبادئ التوجيهية التي أقرها المجلس الوطني للثورة. وهكذا، تقوم الوظيفة الدعائية على شرح قرارات المجلس الوطني للثورة كي تفهمها الجماهير. ولعل ذلك يساعد على اتخاذ كافة التدابير الرامية إلى تحسين ظروفهم المعيشية.ينبغي على لجان الدفاع عن الثورة النضال مع الجماهير سواء في الحضر أو في الريف لمواجهة أعدائهم والتغلب على مصاعب الطبيعة بما يحسن من أحوالهم المادية والمعنوية».

٣) تعمل لجان الدفاع عن الثورة بعقلانية وصرامة، وهو ما يعد أحد أبرزسمات ثورة سانكارا. لذلك، ارتأت النخبة الثورية ضرورة وضع خطط عمل متماسكة وطموحة ملزمة لجميع الأعضاء.يقول سانكارا:« منذ ٤ أغسطس، الذي أصبح تاريخا يؤرخ به لشعبنا، واستجابة لدعوة المجلس الوطني للثورة، قدمت

الجماهير مبادرات لتطوير لجان الدفاع عن الثورة. لقد تأسست هذه اللجان في القرى، وفي أحياء المدن، وسوف تتشكل في وقت قريب في أماكن العمل،وفي المصالح الحكومية، وفي المصانع، وفي الجيش. كل هذا هو نتيجة العمل العفوي للجماهير».

ولعل الفكرة المركزية وراء إنشاء هذه اللجان تكمن في اعادة هيكلة بنية السلطة بطريقة ثورية من خلال القضاء على آلة الدولة القديمة وتمكين الشعب من ممارسة السلطة بنفسه.

الأخلاق الثورية في لجان الدفاع عن الثورة

كان من الواضح تماما أن التكوين العلمي والفكري لسانكارا ورفاقه قد جعلهم على وعي، حتى ولو نظريا، بأهمية الالتزام الثوري والأخلاق الثورية في الممارسة العملية. ومن هنا نجد جزءا من الخطاب يتحدث عن القواعد الأخلاقية التي تحكم عمل لجان الدفاع عن الثورة.

« تهدف الثورة إلى تغيير المجتمع من جميع النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وتهدف إلى خلق فولتا العليا الجديدة، في ظل منظومة الأخلاق والسلوك الاجتماعي القويم الذي يحقق الثقة بالجماهير. لقد وضعت الهيمنة الاستعمارية الجديدة مجتمعنا في حالة رثة، وهو ما سوف يستغرق وقتا طويلا من أجل تطهيره. ومع ذلك فإن على نشطاء لجان الدفاع عن الثورة صياغة وعي جديد وسلوك جديد ليكونوا قدوة حسنة للجماهير. من خلال الثورة، يجب أن نضمن أن لدينا تحولات نوعية. إنه بدون حدوث نقلة نوعية من قبل الأشخاص المفترض فيهم القيام بدور مهندسي الثورة، يكون من المستحيل بناء مجتمع حر جديد خال من الفساد والسرقة والكذب،والنزعة الفردية بشكل عام. يجب أن نسعى إلى أن تُطابق أعمالنا أقوالنا، ومراقبة سلوكنا الاجتماعي حتى لا نكون عرضة للهجوم من قبل أعداء الثورة. إن علينا أن نُعلي باستمرار مصلحة الجماهير على مصالحنا الخاصة، وهو الأمر الذي يحمينا من الضلال. إن أحلام بعض النشطاء في لجان الدفاع عن

الثورة في الحصول على الممتلكات والأرباح من خلال عملهم في هذه اللجان ينبغي أن تُقاوم. يجب القضاء على النجومية وحب الظهور.

وكلما استطعنا معالجة هذه العيوب سريعا، كان ذلك أفضل للثورة. إن الثوري- من وجهة نظرنا- هو الذي يعرف كيف يكون متواضعا وأكثر تحديدا في المهام الموكلة إليه. وهو يفعل ذلك دون رياء أو انتظار مكافأة.

في الآونة الأخيرة نرى أن بعض العناصر التي شاركت بنشاط في الثورة كانت تتوقع نوعا من المعاملة المتميزة، أوالتكريم، أو الحصول على مناصب هامة، وهو ما أدى إلى فشلهم. وهذا دليل على أنهم شاركوا في الثورة دون فهم الأهداف الحقيقية لها. ليست هناك ثورة تستبدل الحاكم القديم بآخر وانتهى الأمر. الثورة لا تعني مباراة غير صفرية يربح فيها الجميع. هذا النوع من الدوافع غريب عن المثل الأعلى لثورة أغسطس، وأولئك الذين يُظهرون عيوبها هم من البرجوازية الصغيرة الانتهازية. إن الصورة الثورية التي يعتزم المجلس الوطني للثورة تكريسها في الوعي العام تؤكد على أن **الثورى الحق هو الذي يتحد مع الجماهير، يؤمن بهم ويحترمهم**. إنه يتصرف في أي موقف وعينه دوما على مصلحة الجماهير. إنه لا يعتبر نفسه سيدا على هذه الجماهير التي تدين له بالطاعة والولاء. وبدلا من ذلك، فإنه يستمع بعناية لهم ،ويولي آراءهم اهتماما كبيرا. إنه يتصرف بعيدا عن الأساليب الاستبدادية المرتبطة بالبيروقراطية الرجعية. وتتميز الثورة عن الفوضى المدمرة. إنها تتطلب الانضباط وأفضل مسار ممكن للعمل. أما التخريب والإجراءات المغامرة أيا كان نوعها، بدلا من تعزيز الثورة والانضمام لحركة الجماهير، فإنها تضعف الجماهير العريضة. ولذلك، فإن أعضاء لجان حماية الثورة تضطر إلى رفع وتيرة إحساسهم بالمسؤولية أمام الشعب من أجل السعي لنيل الاحترام والإعجاب. هذه العيوب هي في معظم الأحيان ناتجة عن الجهل بطبيعة وأهداف الثورة. ولحماية أنفسنا، يجب علينا أن ننشغل بدراسة النظرية الثورية. ولا شك أن الدراسة النظرية تساعدنا على فهم الظواهر، وتنير لنا الطريق وتحمينا من العديد من الافتراضات المسبقة. ونحن الآن بحاجة إلى إيلاء اهتمام خاص بهذا الجانب من المسألة، ونسعى إلى أن نكون المثال

والنموذج الذي يشجع الآخرين على أن يحذوا حذونا».

خامسا :نحو« تثوير» كافة قطاعات المجتمع

في هذا الجزء يضع خطاب التوجه السياسي خارطة طريق وبرنامجا تفصيليا لعمل كافة قطاعات المجتمع. حيث أن فلسفة التغييرات الثورية تؤثر على المجالات التالية: الجيش الوطني؛ الوضع السياسي للمرأة؛ والبناء الاقتصادي.

١) الجيش الوطني:

إن الرسالة الثورية الوطنية للقوات المسلحة تفرض عليها ثلاثة التزامات:

- أن تكون قادرة على محاربة أي عدو في الداخل والخارج، والمشاركة في التدريب العسكري لبقية الناس. مما يعني زيادة القدرة الاستيعابية بحيث يصبح كل فرد مؤهلا للقيام بمهام قتالية، وهو عكس صورة الجيش القديم الذي كان عبارة عن جيش من الموظفين.

- المشاركة في الإنتاج الوطني. «في الواقع، يجب على الجيش الجديد أن يعيش ويعاني بين الناس الذين ينتمي إليهم. لقد ولى زمن الجيش الذي يعتمد على الميزانية المخصصة له . اليوم، وبصرف النظر عن التعامل مع الأسلحة في الميدان، فإنه سيتم تربية قطعان الأبقار والأغنام والدواجن. وسوف يقوم الجيش ببناء المدارس والعيادات، ويقوم بتشغيل وصيانة الطرق، ويقوم بنقل المرضى والمنتجات الزراعية عن طريق الجو إلى مختلف المناطق».

- التدريب العسكري لكل النشطاء الثوريين. لقد ولت الأيام عندما كنا ندّعي الحيادية والطبيعة غيرالسياسية للجيش في ذات الوقت الذي يتم فيه تأمين مصالح القوى الرجعية والإمبريالية !.

« لقد ولت الأيام التي كان جيشنا الوطني يتصرف فيها مثل مجموعة من المرتزقة الأجانب في الأراضي المحتلة! لقد ذهب ذلك بلا رجعة. إن جنودنا اليوم متسلحين بالتدريب السياسي والأيديولوجي، كما أن الضباط المشاركين في

العملية الثورية سوف يجعلون من تقاليد أن يصبح العسكر مجرمين محتملين أثرا بعد عين حيث يمتلك الجنود الجدد ناصية الوعي الثوري ويكونون وسط الجماهير، كالسمك في الماء»[1].

٢) المرأة الفولتاوية: دورها في الثورة الشعبية الديمقراطية

اهتم الخطاب الثوري لتوماس سانكارا بالمرأة حيث أنه اعتبر أن تحرير المرأة يقع في قلب عملية التحرر الوطني والتخلص من نظم الهيمنة بكافة أشكالها.« لا شك أن التقاليد الموروثة في مجتمعنا تكرس من وضعية المرأة كعبء. ومع كل شرور المجتمع الاستعماري الجديد، فقد عانت المرأة بشكل مضاعف: أولا، لأنها تعاني نفس معاناة الرجل، وثانيا، لأنها تعاني معاناة إنسانية أخرى.إن ثورتنا تؤثر على جميع المظلومين، الذين يتم استغلالهم في مجتمع اليوم. وبالتالي فإنها معنية بأمر المرأة، لأن أساس الهيمنة عليها من قبل الرجل يكمن في منظومة الحياة السياسية والاقتصادية للمجتمع. الثورة تغير النظام الاجتماعي الذي يضطهد المرأة، وتخلق الظروف المناسبة من أجل التحرر الحقيقي. المرأة والرجل في مجتمعنا هما ضحايا القمع والهيمنة الإمبريالية. هذا هو السبب في أنهم يقاتلون نفس المعركة. الثورة وتحرير المرأة يسيران جنبا إلى جنب. والحديث عن تحرير المرأة ليس عملا خيريا أو بادرة إنسانية. بل هو ضرورة أساسية لانتصار الثورة. المرأة هي نصف المجتمع. إن علينا خلق عقلية جديدة لنسائنا بما يؤهلهم لتولي مصائر البلاد والعباد جنبا إلى جنب مع الرجال، وهذه هي المهمة الأساسية للثورة».

ومع ذلك كان سانكارا على وعي بأهمية الدور الاجتماعي لكل من الرجل والمرأة حيث لا تصبح المساواة بينهما مجرد مسألة ميكانيكية. «إنها سوف تشارك في جميع مستويات التخطيط واتخاذ القرار والتنفيذ، وتنظيم حياة الأمة بأكملها. والهدف النهائي من كل هذا المشروع الكبير هو بناء مجتمع حر ومزدهر تكون فيه النساء على قدم المساواة مع الرجال في جميع المجالات. ومع ذلك، يجب أن

(١) خطاب التوجه السياسي، مرجع سابق، ص ٤٧-٤٨.

يكون لدينا فهم عادل لقضية تحرير المرأة. إنها ليست المساواة الميكانيكية بين الرجل والمرأة. إن اكتساب العادات التي ارتبطت بالرجل مثل شرب الخمر والتدخين، وارتداء السراويل، لا يعني تحريرا للمرأة. ليست هذه هي المؤهلات التي سوف تجعل المرأة مساوية للرجل أو تكون أكثر انعتاقا. إنها ليست درجة تجتازها المرأة من أجل التحرر. التحرر الحقيقي للمرأة هو الذي يمكن المرأة، من الجمع بين الأنشطة الإنتاجية، والمشاركة في مختلف الصراعات التي تواجه الشعب. التحرر الحقيقي للمرأة هو الذي يحظى باحترام وتقدير من الرجل. التحرر يعني الحرية ولا يعني الفوز على الرجل. إن على النساء أنفسهن النضال من أجل تحقيق مطالبهن واتخاذ الإجراءات اللازمة للنجاح. الثورة الديمقراطية الشعبية سوف تعمل على تهيئة الظروف اللازمة لتمكين المرأة من تحقيق كامل حريتها، فهل من الممكن تصفية النظام الذي تشكل فيه المراة أكثر من نصفه؟»[1].

٣) اقتصاد وطني مستقل، يحقق الاكتفاء الذاتي ومخطط لخدمة مجتمع ديمقراطي شعبي.

إن عملية بناء اقتصاد وطني ومستقل، ومخطط لن تتم إلا من خلال تحول جذري في المجتمع الحالي، والتحول في حد ذاته يتطلب إصلاحات رئيسية:

- **الإصلاح الزراعي** الذي يهدف لتحقيق مبدأ الاكتفاء الذاتي من الغذاء من خلال: زيادة إنتاجية العمل وهو ما يتحقق عن طريق تنظيم أفضل للمزارعين وإدخال التقنيات الزراعية الحديثة في عالم الريف.تطوير الزراعة المتنوعة مع تحقيق التخصص الإقليمي في بعض المنتجات.إلغاء جميع الحواجز المحددة للهياكل الاجتماعية والاقتصادية التقليدية والتي تقوم على قهر الفلاحين.وأخيرا، أن تصبح الزراعة هي الدعامة الأساسية للتنمية الصناعية.

- إصلاح الإدارة الذي يهدف إلى تشغيل نظام الإدارة الموروث من

(١) المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠.

الاستعمار. وللقيام بذلك، أعلن الخطاب عن سياسة التخلص من جميع العلل التي تعترض ذلك، ولاسيما البيروقراطية المعطلة، وتبعاتها، وإجراء مراجعة شاملة لقوانين الخدمة المدنية. مثل هذا الإصلاح سوف يؤدي إلى خفض التكاليف الإدارية، مع تحقيق درجة عالية من المرونة والكفاءة.

- **إصلاح النظام المدرسي** الذي «يهدف إلى تعزيز اتجاه جديد في التعليم والثقافة. ولعل هذا التحول يكون بمثابة أداة للثورة. فالخريجون من هذا النظام الجديد، سوف لا يعبرون عن مصالحهم الخاصة وإنما يعملون على خدمة الجماهير.» إن التعليم الثوري الذي سوف يتم توفيره في المدارس سوف يغرس في كل فرد على الصعيد الأيديولوجي، شخصية وطنية تخلصه من آفة التقليد الأعمى. يتعلم الطلاب من بعضهم القدرة على الاستيعاب النقدي للأفكار الإيجابية وتجارب الشعوب الأخرى، وهذه واحدة من مهام المدرسة في مجتمع ديمقراطي شعبي. ولإنهاء الأمية والظلامية، سوف يتم التركيز على حشد كل الطاقات لتنظيم الجماهير وتثقيفهم وخلق روح التعلم فيهم بحيث تبين لهم مساوئ الجهل. ولاشك أن أي سياسة لمحاربة الأمية، من دون مشاركة أصحاب المصلحة الرئيسيين مصيرها الفشل لا محالة. أما بالنسبة للثقافة في مجتمع ديمقراطي شعبي، فإنها ذات طبيعة ثلاثية: وطنية،وثورية وشعبية. كل ما هو غير وطني ، ومناهض للثورة ومعادي للشعب يجب منعه. على العكس من ذلك، فإن ثقافتنا تحتفي بفضائل الكرامة والشجاعة والقومية والقيم الإنسانية الكبرى».

- **إصلاح هياكل الإنتاج والتوزيع في القطاع الحديث.** وتهدف هذه الإصلاحات في هذا المجال إلى إنشاء رقابة فعالة تدريجيا على الأشخاص في دوائر الإنتاج والتوزيع في فولتا العليا. لأنه بدون تحكم حقيقي في هذه الدوائر، فإنه من المستحيل بناء اقتصاد مستقل للشعب.

٤) **السياسة الخارجية:**

لقد عارضت ثورة سانكارا كل أشكال الامبريالية والهيمنة الجديدة في الوقت

الذي سعت فيه إلى تبني نهج سياسي خارجي مستقل وغير منحاز يقوم على أساس المبادئ التالية:

- الاحترام المتبادل لاستقلال الدول وسلامة أراضيها وسيادتها الوطنية.
- عدم الاعتداء المتبادل.
- عدم التدخل في الشؤون الداخلية.
- التجارة مع جميع الدول على قدم المساواة وعلى أساس المنافع المتبادلة.
- إعلان التضامن والدعم لكل حركات التحرر الوطني التي تناضل من أجل الاستقلال والتحرر الوطني. هذا الدعم على وجه الخصوص قدم لشعب ناميبيا تحت قيادة سوابو والشعب الصحراوي في كفاحه لاستعادة أراضيه وإلى الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية.

«إننا نستهدف في نضالنا، حلفاءنا الأفارقة المعادين للإمبريالية. ولعل ذلك يستلزم التقارب مع تلك البلدان لمواجهة المد الاستعماري الجديد الواقع في قارتنا»[1].

لم يكن سانكارا يخفي ميوله الماركسية أبدا حيث ظهر ذلك جليا في لغة خطابه السياسي ، وهو الأمر الذي جعله أكثر راديكالية من العديد من أقرانه ومرافقيه. دفع ذلك الأمر توماس سانكارا إلى البدء بإعادة هيكلة النخبة الحاكمة ولاسيما المحيطين به. تألف فريقه الرئاسي من نحو ١٥٠ فردا تم اختيارهم بعناية. لقد كان سانكارا يؤمن بعدم وجود المستحيل وهو ما يتضح في فرض مواعيد نهائية لإنجاز المشروعات بشكل لا يكاد يصدقه عقل. رأى أن الثورة الحقيقية تعني تحسين الأحوال المعيشية للمواطنين وإحداث قطيعة نهائية مع سياسات الماضي، وإعادة هيكلة نظم الإدارة، وإعادة توزيع الثروة؛ وتحرير المرأة؛ وإلغاء صلاحيات رؤساء القبائل، الذين كانوا مسؤولين عن تخلف الريف؛ وذلك في محاولة منه لتحويل الفلاحين إلى طبقة اجتماعية ثورية.

(١) المرجع السابق، ص ٥٦.

لقد أعاد سانكارا هيكلة مؤسسات الدولة وعلى رأسها الجيش والقضاء ضاربا بقواعد النظام القديم عرض الحائط. إذ أصبح الجيش ناشطا في عمليات التنمية حيث بات جنوده يشاركون في الزراعة والبناء الوطني. يعني ذلك أن الجيش في عهد سانكارا أصبح في خدمة الشعب حيث شارك في المهام المخصصة للإنتاج. وقد أخذ سانكارا بنظام اللامركزية، كما أدخل نظام الديمقراطية المباشرة عبر اللجان المحلية للدفاع عن الثورة مع ايلاء أهمية كبرى لمكافحة الفساد. وفي ٤ أغسطس ١٩٨٤ تم تغيير اسم فولتا العليا ليصبح بوركينا فاسو، « أرض الشرفاء» أو أرض الأحرار[١].

انطلقت خطة التنمية الشعبية حيث قامت كل أقاليم الدولة بتحديد أولوياتها التنموية وايجاد الوسائل اللازمة لتحقيق هذه الأولويات الخاصة بها. وقد لخص سانكارا جوهر نمط التنمية المستهدف بقوله: « إن الشيء الأكثر أهمية هو أن تُعطي الناس الثقة بأنفسهم، وتُساعدهم على فهم أنهم قادرون على تعريف وتحديد السعادة الخاصة بهم، وتُمكنهم من اتخاذ القرار بشأن أهدافهم الخاصة وفهم الثمن الذي يجب دفعه». عمد نظام سانكارا إذن إلى تحقيق نمط التنمية المستقلة المعتمدة على الذات بحيث لا تشكل المساعدات الخارجية أحد ركائزها. يقول سانكارا:« إن المساعدات الغذائية ...تصبح جزءا لا يتجزأ من نمط تفكيرنا. ولعل ذلك يجعلنا كالمتسولين الذين يعيشون على الصدقات. علينا أن ننتج، أكثر، لأن الذي يتكفل بإطعامك سوف يفرض إرادته عليك كذلك».

(١) تجدر الإشارة إلى أن اسم« بوركينا فاسو» مكوّن من اللُّغات الثَّلاث الأكثر انتشارا؛ لغة مُوري، وهي لغة الأغلبية ، ولغة جُولاَ أو البَمبارا، واللُّغة الفلانية، فكلمة بوركينا بلغة الموري أي لغة شعب الموسي تعني الحر. (Burkina). أما فاسو فتعني بلغة شعب الجولا – الوطن (Faso)، وهو ما يعني أن الاسم يعني وطن الأحرار أو الشرفاء. وتعني (bè) بلغة الفولانيين- من ينتسب إلى بوركينا. وهكذا فإن اسم دولة بوركينافاسو مكوّن من أشهر لغتين فيها، والنسبة مأخوذة من اللغة الثالثة. أنظر في ذلك: محمد الأمين سوادغو، ثورة (٣٠ أكتوبر) في بوركينافاسو ... قراءة سياسية ونظرة مستقبلية، مجلة قراءات أفريقية، ٢٧نوفمبر ٢٠١٤.